قريش تنقسم على نفسها فى الطريق

أما قريش فقد خرجت على بكرة أبيها، فى مظهر يدل على القوة والخيلاء، وينبئ بما اعتزمته من سحق محمد وصحبه، هؤلاء الذين تطاولوا عليهم، وتجرءوا على التصدى لعيرهم، وهم الأعزة الذين لم يذلوا، وأهل الحرم وسدنة البيت، و ﴿زينَ لهمُ الشَّيطان أعمَالهمُ، وقال لا غالبَ لكُم اليومَ من الناسِ وإنِّى جارٌ لكم﴾؛ فخرجوا معتزين بقوتهم، مُدَلِّين بمكانتهم بين العرب، معتقدين أنهم سيضربون الضربة القاصمة التى تقضى على الإسلام وأهله، وكأن لسان حالهم يقول كما قال فرعون من قبل فى قوم موسى: ﴿إنَّ هؤلاء لشرذمةٌ قَليلونَ * وإنَّهم لنا لغائظُون * وإنَّا لجميعٌ حاذِرُون﴾[1].

ومع أن صوت النذير قد أزعجهم فخرجوا جميعًا، فإن كثيرًا منهم كانوا لا يريدون أن يزيدوا على إنقاذ العير؛ فلما أن نجا أبو سفيان بالعير، وبعث إليهم يخبرهم بذلك، رغب كثير منهم فى الرجوع. ولكن أبا جهل ركب رأسه، وعز عليه أن يرجعوا فتضعف شوكتهم بين العرب، ويطمع المسلمون فيهم؛ فأخذ يصيح فى القوم: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا فنقيم عليها ثلاثًا،

(١) سورة الشعراء الآيات ٥٤ ـ ٥٦.